

الدرس 4

أقسام الحديث باعتبار العلو والنزول في الإسناد

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف مفهوم «الحديث العالي» و«الحديث النازل».
- 2- أن أدرك فائدة معرفة «الحديث العالي» و«الحديث النازل».
- 3- أن أميز بين «العلو المطلق» و«العلو النسبي».
- 4- أن أستشعر فضيلة القرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تمهيد

رغب علماء مصطلح الحديث في كل ما يقوي الحديث ويدرك الضعف عنه، ومن ذلك ترغيبهم في الأحاديث العالية، باعتبارها أقرب إلى الصحة؛ لأنه «ما من راو من رجال الإسناد إلا والخطأ جائز عليه، فكلما كثرت الوسائط وطال السند كثرت مظان التجويز، وكلما قلت قلت»؛ ولذلك ميزوا بينهما بصفتي: العلو، والنزول؛ فلماذا سموا ما قل عدد رجاله عالياً؟ وعكسه نازلاً؟ وما فائدة معرفتهما؟ وهل الحديث العالي يقتضي الترجيح على الحديث النازل؟

المتن

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني - رحمه الله -:

فإن قلَّ عَدَدُهُ: فَإِمَّا أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ إِلَى إِمَامٍ ذِي صِفَةٍ عَلَيْهِ كَشُعْبَةٌ. فالأَوَّلُ: الْعُلُوُّ الْمُطْلَقُ. والثَّانِي: النَّسَبِيُّ. وَفِيهِ الْمُوَافَقَةُ: وَهِيَ الْوُصُولُ إِلَى شَيْخٍ أَحَدِ الْمُصَنِّفِينَ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِهِ. وَفِيهِ الْبَدَلُ: وَهُوَ الْوُصُولُ إِلَى شَيْخٍ شَيْخِهِ كَذَلِكَ. وَفِيهِ الْمُسَاوَاةُ: وَهِيَ اسْتِثْوَاءُ عَدَدِ الْإِسْنَادِ مِنَ الرَّأْيِ إِلَى آخِرِهِ مَعَ إِسْنَادِ أَحَدِ الْمُصَنِّفِينَ. وَفِيهِ الْمُصَافَحَةُ: وَهِيَ الْاسْتِثْوَاءُ مَعَ تَلْمِيزِ ذَلِكَ الْمُصَنِّفِ، وَيُقَابِلُ الْعُلُوَّ بِأَقْسَامِهِ النَّزُولُ.

الفهم

الشرح:

فإن قل عدده: عدد رجال السند.

ذي صفة عليّة: من حفظ، وفقه، وضبط...

العلو المطلق: لا بالنسبة إلى شخص من رجال السند

دون شخص.

استخلاص المضامين:

1- أستخرج من المتن أنواع العلو في الإسناد.

2- أبين أقسام العلو النسبي.

التحليل

أولاً: الحديث العالي

1- تعريفه

العالي لغة: اسم فاعل من «العلو» ضد النزول. وأصله يدل على السمو والارتفاع، ويقال لكل شيء يعلو: علا يعلو. فإن كان في الرفعة والشرف قيل علي يعلو [مقاييس اللغة، ابن فارس، 125/4].

العالي اصطلاحاً: ما قل عدد رجال سنده.

وهو إما:

- أن ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك العدد القليل بالنسبة إلى سند آخر، يرد به ذلك الحديث بعينه بعدد كثير.

- أو ينتهي إلى إمام من أئمة الحديث ذي صفة عليّة: كالحفظ والفقه والضبط والتصنيف، وغير ذلك من الصفات المقتضية للترجيح، كشعبة، ومالك، والثوري، والشافعي، والبخاري، ومسلم، ونحوهم.

2- أنواع العلو في الإسناد

أ- العلو المطلق

وهو ما ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإن اتفق أن يكون سنده صحيحاً كان الغاية القصوى، وإلا فصورة العلو فيه موجودة، ما لم يكن موضوعاً؛ فهو كالعدم. وهذا القول من الحافظ ابن حجر «دفع لسؤال مقدر تقديره أن يقال: قلة العدد قد توجد في الموضوع ولا يقال له: العلو،

فكيف قال: فالأول -أي قليل العدد المنتهي إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم- العلو المطلق؟ والجواب أن الموضوع مثل المعدوم، فلا يدخل في قليل العدد، فلا توجد فيه صورة العلو أيضا، ثم الشيخ قيد وجود صورة العلو بما إذا لم يكن موضوعا، وقيده غيره بما إذا لم يكن ضعيفا كالحاكم، والعراقي، والنووي، حتى إذا كان قرب الإسناد مع ضعف بعض الرواة فلا التفات إلى هذا العلو، لا سيما إذا كان فيه بعض الكذابين. وهو الظاهر لأن الغرض من العلو كونه أقرب إلى الصحة، فلا بد من التقيد حتى لا يندرج فيه ما يكون رواية ضعيفة». [شرح نخبه الفكر، للقاري، ص 616].

ب- العلو النسبي

والثاني: العلو النسبي، وهو: ما يقل العدد فيه إلى ذلك الإمام، ولو كان العدد من ذلك الإمام إلى منتهاه كثيرا. وقد عظمت رغبة المتأخرين فيه، حتى غلب ذلك على كثير منهم، بحيث أهملوا الاشتغال بما هو أهم منه.

3- فائدة العلو في الإسناد، وهل يقتضي الترجيح على النزول؟

وإنما كان العلو مرغوبا فيه لكونه أقرب إلى الصحة وقلة الخطأ؛ لأنه ما من راو من رجال الإسناد إلا والخطأ جائز عليه، فكلما كثرت الوسائط وطال السند كثرت مظان التجويز، وكلما قلت قلت. فإن كان في النزول مزية ليست في العلو: كأن يكون رجاله أوثق منه، أو أحفظ، أو أفقه، أو الاتصال فيه أظهر، فلا تردد أن النزول حينئذ أولى. وأما من رجح النزول مطلقا واحتج بأن كثرة البحث تقتضي المشقة؛ فيعظم الأجر، فذلك ترجيح بأمر أجنبي عما يتعلق بالتصحيح والتضعيف.

4- أقسام العلو النسبي

أ- الموافقة، وهي: الوصول إلى شيخ أحد المصنفين من غير طريقه، أي: الطريق التي تصل إلى ذلك المصنف المعين.

مثاله: روى البخاري عن قتيبة، عن مالك حديثا، فلو رويناه من طريقه كان بيننا وبين قتيبة ثمانية، ولو رويناه ذلك الحديث بعينه، من طريق أبي العباس السراج، عن قتيبة، مثلا، لكان بيننا وبين قتيبة فيه سبعة؛ فقد حصلت لنا الموافقة مع البخاري في شيخه بعينه مع علو الإسناد إليه.

ب- البديل، وهو: الوصول إلى شيخ شيخه كذلك، كأن يقع لنا ذلك الإسناد بعينه، من طريق أخرى إلى القعني عن مالك؛ فيكون القعني بدلا فيه من قتيبة. وأكثر ما يعتبرون الموافقة والبديل إذا قارنا العلو، وإلا فاسم الموافقة والبديل واقع بدونه.

ج- المساواة، وهي استواء عدد الإسناد من الراوي إلى آخره، أي: الإسناد مع إسناد أحد المصنفين. كأن يروي النسائي مثلاً، حديثاً يقع بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم فيه أحد عشر نفساً، فيقع لنا ذلك الحديث بعينه بإسناد آخر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقع بيننا فيه وبين النبي صلى الله عليه وسلم أحد عشر نفساً؛ فنساوي النسائي، من حيث العدد، مع قطع النظر عن ملاحظة ذلك الإسناد الخاص.

د- المصافحة: وهي: الاستواء مع تلميذ ذلك المصنف، على الوجه المشروح أولاً، وسميت مصافحة لأن العادة جرت في الغالب بالمصافحة بين من تلاقيا، ونحن في هذه الصورة كأنا لقينا النسائي؛ فكأننا صافحناه.

فالحاصل أن أقسام العلو النسبي هي:

- الموافقة.
- البذل.
- المساواة.
- المصافحة.

ثانياً: الحديث النازل

النازل لغة: النازل اسم فاعل من «النزول». والأصل «نزل» يدل على هبوط شيء ووقوعه [مقاييس اللغة، ابن فارس 417/5].

النازل اصطلاحاً: ما كثر رجال سنده من مخرجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ويقابل العلو النزول؛ فيكون كل قسم من أقسام العلو يقابله قسم من أقسام النزول - فكل ما حكمنا بعلوه حكمنا على مقابله بالنزول - خلافاً لمن زعم أن العلو قد يقع غير تابع للنزول.

أهتدي وأقتدي

قال ابن الصلاح - رحمه الله -: «قرب الإسناد قرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرب إليه قرب إلى الله عز وجل». [مقدمة ابن الصلاح، ابن الصلاح، ص: 257]

التقويم

- 1- أبين مفهوم الحديث العالي والحديث النازل.
- 2- أستخرج فائدة معرفة كل منهما.
- 3- أعرف المصطلحات التالية: «الموافقة»، «البذل»، «المصافحة».

الاستثمار

قال ابن الصلاح -رحمه الله-: «ثم إن العلو المطلوب في رواية الحديث على أقسام خمسة: **أولها:** القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسناد نظيف غير ضعيف، وذلك من أجل أنواع العلو. **الثاني:** القرب من إمام من أئمة الحديث، وإن كثر العدد من ذلك الإمام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا وجد ذلك في إسناد وصف بالعلو، نظرا إلى قربيه من ذلك الإمام وإن لم يكن عاليا بالنسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. **الثالث:** العلو بالنسبة إلى رواية الصحيحين، أو أحدهما، أو غيرهما من الكتب المعروفة المعتمدة، وذلك ما اشتهر آخرا من الموافقات، والأبدال، والمساواة، والمصافحة، وقد كثر اعتناء المحدثين المتأخرين بهذا النوع. **الرابع:** العلو المستفاد من تقدم وفاة الراوي. **الخامس:** العلو المستفاد من تقدم السماع». [مقدمة ابن الصلاح، ابن الصلاح، ص: 263 بتصرف].

- 1- أستخلص من النص ما يدل على فضل علو الإسناد.
- 2- أبين أثر مباحث علم مصطلح الحديث في ترسيخ محبة النبي صلى الله عليه وسلم.

الإعداد القبلي

أحفظ متن الدرس القادم، وأنجز الآتي:

- 1- ما الفرق بين «رواية الأقران» و«المدبج».
- 2- أبحث عن أمثلة لرواية الآباء عن الأبناء.